ترجمة الشيخ الإمام المؤلف السيد



تغمده الله برحمته وعمه برضوانه

بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ

أبي القاسم إبراهيم

المدرس بالجامعة الأزهرية

رحمه الله وجزاه خيرا

الطبعة الخامسة ١٤١١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه (أما بعد) فهذه قطرة من بحر ، للتعريف بالشيخ الإمام .

المؤلف — هو الفقيه المحدث المفسر الثقة الثَّبْت ناصر السنة وقامع البدعة ، المرشد الإمام الكبير أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكى

مولده — ولد الشيخ الإمام ببلدة سبك الأحد من قرى مركز أُشْمون بمحافظة المنوفية ، فى يوم الخميس التاسع عشر من شهر ذى القَعْدة عام أربع وسبعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية (١٢٧٤ هـ) . — أول يوليه ١٨٥٨ م .

نشأته — نشأ الشيخ الإمام بين أبوين طاهرين كريمين تعهداه بحسن التربية ، وغرس فيه والده منذ نعومة أظفاره رُوح السخاء والشجاعة والسُّؤْدُد وعلو الهمة وتلك مكارم أخلاق تحلى بها هذا الوالد العظيم ، وقد كان سيداً فى قومه ذا بَسْطة فى الرزق والجسم محبباً بين عشيرته وعارفى فضله ونُبْله .

ولقد أنجب والد المؤلف ستة ذكور كل اثنين من سيدة فُضْلى ، فكان يبعث واحدا للتعليم الأولى ثم تلقى العلم بالأزهر المعمور ، ويُبقى الآخر يعمل معه فى مزرعته الفسيحة الخِصْبة ، ويعاونه على أعماله الأخرى . وكان من حظ المؤلف أن يبقى بجانب والده فى بُحْبوحة العز وعظيم الجاه ، ولكن غير خامل ولا كَسِل ، بل تراه فى حَداثة سنه يكل إليه والده رعاية غنمه ليقظته النادرة وعزيمته الوثابة ، وحسن سياسته وكِياسته فكان خير حارس لها ، وخير قائم على أمرها . ثم عهد إليه مراعاة خيل كان يملكها لما رآه شجاعا رابط الجَأْش « قوى القلب » فساس الجموح منها مرة بالشدّة ، وآونة باللين فاستحال ذَلُولا مُنْقادا .

وهل أحدثك عن آثار شجاعة المؤلف وهمته « وهو حَدَث[1] مراهق » حتى

(١) (حدث) بفتحتين أى شاب .

يتجلى لك أن عناية الله تعالى كانت تحوطه وترعاه من بدايته . كان لوالد الشيخ الإمام حديقة واسعة الأرجاء . مساحتها ستة أفدنة أو تزيد ، عدت عليها عوادى الدهر ، واستلبت ثمارها أيدى الناهبين فشوّهت جمالها ، وأذهبت بَهْجتها ، فما كان من هذا الوليد الفتىّ وهو رابط الجأش شجاع ، له نفس أبية تَعاف الضَّيم ، ما خالطها خَوَر(١) العزيمة ولا جُبْن النُذَلاء(٢) كان لزاما عليه أن ينهض بتلك الحديقة يَغْرِس أشجارها ويُصلح أرضها ، ويَرْوى أزهارها ويشْذِب غصونها(٣) فإذا جنّ الليل واختلط ، تعهدها بالحراسة غير مستسلم إلى الكَرى « النوم » الذى لم يُغْمِض له جَفْنا .

شاء الله تعالى أن تصبح الحديقة رَوْضةً أريضة(٤) ، يانعة الثمر وارفة الظل(٥) دانية القطوف « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » وتجود بأطيب الثمرات .

وحذق المؤلف غير هذا . النجارة والحِياكة وفن البناء ، وهو زرّاع ماهر صائد لا يخطىء الرِّماية ، يُصيب الطائر السريع سابحا فى جوّ السماء فيخِرّ صريعا وفى الليل البهيم يصيد طيورا معتمدا على سماع صوتها .

عبادة المؤلف

اتصل المؤلف بعد بلوغه الحُلُم بالشيخ العارف بربه أبى محمد أحمد بن محمد جَبَل السبكى الخلوتى ، فاشتغل بذكر الله كثيراً وجَدَّ فى الطاعة فكان يصوم النهار ويقوم من الليل مقبلا على مناجاة ربه علام الغيوب فى الأسحار . وربما صلى فى الليلة مائة ركعة مع كثرة ما لديه من أعمال النهار ، فلاحت عليه علائم السعادة فأذن له شيخه أن يرشد المريدين إلى الطريق القويم ، فدعا إلى طاعة الله تعالى ،

(١) (الخور) بفتحتين ، الضعف . وفعله خور من باب طرب.
(٢) (النذلاء) جمع نذيل أى خسيس .
(٣) (يشذب) يقال : شذب الشجر من بابى نصر وضرب ألقى ما عليه من الأغصان حتى يبدو . (٤) (الأريضة) الحسنة الزاهرة بكثرة المياه فيها .
(٥) (وارفة الظل) أى كثيرته يقال : ورف الظل من باب ضرب اتسع وطال .

وطاعة رسوله « صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله » فألفى آذانا صاغية ، وقلوبا واعية جزاء إخلاصه ، وصفاء سريرته .

المؤلف يكتب ويقرأ بعد أن كان أميا

وبينما هو جالس ذات يوم فى بستان أبيه إذ دخل عليه ابن عم له بيده لوح صغير به بعض حروف الهجاء ، فاشتاقت نفسه أن يتعلمها ، فاتصل بمعلم القرية فكتبها له فقلد الإمام كتابتها ، وما أعظمَ دَهْشَةَ المعلم حينما رأى خط تلميذه اليافع[1] أحسن من خطه . وما هى إلا أيام تعدّ على الأصابع حتى صار المؤلف يُجيد الكتابة والقراءة .

المؤلف يخطو إلى الجامعة الأزهرية

تاقت نفس المؤلف إلى الرِّحْلة لتلقى العلم فى الجامع الأزهر المعمور . وبينما هو يناجى مولاه سَحَرا ، جدّ فى الدعاء طالبا أن يمن عليه المنعم الوهاب بمعرفة العلم ويسهل له طريقه . وما مضى على دعائه أسبوع إلا وقد أشيع بين الناس أن الحكومة التى كانت لا تجند أولاد العمد ، غيرت طريقتها . فأشار الشيخ خطاب « رحمه الله » أكبر إخوة المؤلف على أبيه ، أن يأخذه معه إلى الجامع الأزهر ، ليتمكن من الحصول على شهادة المعافاة من الخدمة العسكرية بانتسابه إلى الأزهر . وهو إذ ذاك الحرم المكين مَنْ دخله كان آمنا . وبعد أخذ وردّ سافر المؤلف مع أخيه الشيخ خطاب العالم الجليل . وما كادت عينه تُبْصِر السادة العلماء ، وبين أيديهم تلامذتهم حتى تملك هذا المنْظَر سُوَيْداءَ قلبه ، واستولى على مشاعره كلها وأخذت الآمال تملأ جوانحه[2] حتى فاضت على لسانه إذ فاتحه أخوه الشيخ خطاب فى الذهاب إلى أستاذ كبير يشار إليه بالبنان (المرحوم الشيخ حسن العِدْوِىّ)

(١) أيفع الغلام : شب . ويفع الغلام ييفع مثله . واسم الفاعل من الثلاثى فقط وشذ من الرباعى .

(٢) (الجوانح) الأضلاع التى تحت الترائب ، وهى مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر . والمفرد جانحة .

وكانت بينهما صداقة وثيقة ، ليسهل له شهادة المعافاة فيعود على جَناح السرعة إلى والده مخففا عنه هذا العِبْء الثقيل من أعماله ، وهو يقوم بأوفر قِسْط منها . فقال المؤلف هيهات ! ! وكيف أترك هذه الضّالّة المنشودة ، وهل أضيع على نفسى مَآربها وبُغْيتها ؟ ؟ لا بدّ من الانضمام إلى هذه الأسرة الدينية لأكون فرداً منها ولا بدّ من الجلوس بين هذه الحلْقات العلمية رَدَحا من الزمن(١)، مفارقا تلك الحلقات الريفية ، مترحما على الأيام الطويلة التى قضيتُها بين ذويها وأَتْرابها ! !

دهِش كل الدهَش أخوه إذ يراه قد جاوز الْعِقْد الثانى من عمره ، فأصبح طلب العلم عليه غير هَيّن وأدرك المؤلف منه هذا فقال : قد تَسْبِق الْعَرْجاء . والله يختص برحمته من يشاء . ثم أقبل المؤلف على مطلوبه أيّما إقبال . فكنت تراه فى اليوم الواحد يحفظ قسطاً من كتاب الله تعالى ، ومقداراً من المتون الأزهرية على الطريقة المألوفة إذ ذاك ، ويتردد على حلقات العلم يتزوّد منها ما شاء الله . ومضى عليه نصف عام كامل فهل يدور بَخَلَدِك(٢) أنّ هذا التلميذ الناشئ فى مَكِنته(٣) أن يكون أستاذاً لمبتدئين يتلقوْن عنه دروس العلم فى المساء ، ويُشْرف عليها بعض المعلمين المعجَبين بذكاء ابن الريف المتقدم فى سنه ! ! وما زال مُجِدًّا مُواصلا ليلَه بنهاره ، غير مقتصر على أن يملأ مخيلته بالمسائل العلمية يردّدها لسانه ، بل وضع نُصْب عينيه العمل بما يتطلبه العلم ، موقناً أن الطالب لذلك هو الله تعالى ورسوله شاعراً أن وراءه أبناءَ الحلقاتِ الريفية ، وهم الذين خَيَّم الجهلُ عليهم فما يدرون حلالا ولا حراما ، وما يَفرِقون بين ولىّ ولا نبى ! !

وهؤلاء لا بد أن تجمع الأيامُ بينه وبينهم فتنقلب هذه الحلقات الدنيوية حلقات دينيةً يرى المجتمعون فيها من كان على شاكلتهم أضحى لهم معلماً. ومعلم هذه الطبقات تَرْمُقه عيونُهم ، وتُصْغى إلى قوله آذانُهم . فإن عمِل بما

(١) يقال أقام ردحا من الدهر بفتحتين أى طويلا . (٢) (الخلد) بفتحتين البال يقال وقع ذلك بخلدى أى فى قلبى : (٣) (المكنة) بفتح فكسر القدرة .

أرشدهم إليه التفوا حوله وقدّسوه ، وإن اعوجّ انفضّوا من حوله ، واحترزوه .

لبث المؤلف يتلقى عن أساتذته الأجلاء بالجامع الأزهر المنير ويلقى فى أوقات فراغه دروساً شتّى على بعض الطلاب ، ويُرْشد أبناء الريف إذا ما رجع إليهم . فكان أزهريا بين الأزهريين ، وواعظا مرشداً بين الريفيين وما رَضِى المؤلف أيام طلبه العلم أن يتناول جراية من أوقاف الأزهر ، ولا أن يدوّن اسمه بين دفاتره ، وما كان شغله الشاغل إلا التفانى فى العلم ، والتحلى بالعمل ، وهو ثمرة العلم !

المؤلف يطارد الراقصات وآلات الملاهى فى الأفراح

يتخذ فى بعض البلاد من لا خَلاق لهم نسوة راقصات ، ورجالا بأيديهم آلات الملاهى من مُوسيقَى وطبل ومِزْمار وغيرها ليالىَ الأفراح . وفى الجمع الحاشد الشاب والفتاة ، والشيخ والسيدة . وهؤلاء جميعاً تثور شهواتهم وتفسد أخلاقهم ، وتتغير طباعهم بهذه المناظر المخزية التى يَنْدَى لها وجه الفضيلة . فقام المؤلف على قدم وساق يعظ ويرشد ويعلم هؤلاء الجاهلين ما يجب عليهم لخالقهم ورازقهم الغيور على دينه المنتقم الجبار . وبين لهم المفاسد والأضرار المترتبة على اتخاذ الراقصات واستعمال آلات الملاهى ، فهدى الله تعالى على يديه الكثير منهم ، فثابوا إلى رشدهم وأنابوا إلى ربهم وتابوا من ذنوبهم .

المؤلف ينهى عن منكرات المآتم

فى كثير من بُلْدان القُطْر يأتى النساء منكراتٍ فظيعة إذا ما زار الموت بيتاً من البيوت ، فترى الصارخة واللاطمة وشاقّة الثوب ومن لطخت وجهها بالطين أو صبغته بالنيلج[1] وتُبصر نسوةً مُتَشِحاتٍ بالسواد سائرات وراء الميت إلى المقبرة ، وعائدات إلى المنازل تقودهن النائحة ، وتَظَلُّ تندُب لهن وتنوح ، وتأتى ما حرم الله ورسوله ، وربما نطقت بما يخرجها عن المِلّة وهى المعلمة الملقنة مَنْ

(١) النيلج بكسر النون وفتح اللام ، دخان الشحم يعالج به الوشم (معرب) النؤور

حَوْلهاَ . تظل هى ومن معها ثلاثةَ أيام ، ثم يعدن سيرتهن الأولى كل خميس حتى ينتهى جِناز الأربعين وتلك عادات مُزْرية ، وفِعال مَشينة ، ومنكرات عكف عليها هؤلاء النساء . والرجال القوّامون عليهن ساكتون لاهون . وليس هنالك الآمر الناهى قوى اليقين . فشمّر المؤلف ساعِدَ الجِدّ ، وكشف ذراع الغَيْرَة ونهى وزجر أهل كل بلدة يتنقل إليها وبين لهم ما يترتب على هذا الفعل الشنيع من الضرر والفساد وغضب الواحد القهار ، فثاب إلى رشده كثير ممن كتب الله الهداية لهم ، وَصَلَحَتْ نفوسُهم ، ونفوس نسائهم .

المؤلف ينحى باللائمة على أرباب الطرق

مُنى القطر المصرى بالمتصوفة أرباب الطرق . وهم كثير تبلغ طرقهم ثلاثين أو تزيد . وقد كان المؤلف صوفيا خلوتيا قبل أن يخطو إلى الأزهر الميمون واختلط بكثيرين ممن ينتسبون إلى طرق أخرى فسمع الأذكار المحرّفة ورأى الألعاب البهلوانية ، وشاهد من يتظاهر بأكل النار والحيّات والزّجاج ، وعاين الضرائب التى يَجْبيها مشايخ الطرق من مريديهم كأنها أموال أميرية وأبصر النذور والهدايا تقدم إليهم كأنها مسوقة إلى حرم الله تعالى ، أو مبذولة إلى عيال الله الفقراء والمحاويج ، فحمل عليهم الشيخ الإمام حَمْلةً شَعْواء ، وأبان للعامة أنهم على غير هدى وأنّ ما يقدم لهم من الضرائب حرام وسُحْت ، وكل لحم ودم نبتا من حرام فالنار أولى بهما ، وأنّ الطرق الصوفية ليست حِرَفا ولا مِهَنا بل هى بأذكارها المحرّفة وضرائبها ونذورها ، شارةٌ سوداء تشوّه جمال الدين الإسلامى ، وتجعل الأجانب الغربيين أعداء الدين ينظرون إلينا نظرة السُّخْرية والازدراء فى حين أن الدين منهم بَراء ، وأنّ سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يمقت هؤلاء .

وكانت النتيجة أن تباعد كثير عن هؤلاء المتصوّفة ، فقلّت أرزاقُهم وقُطِعتْ نُذورُهم ، فأخذوا يَكيدون للمؤلف ، ويدبرون له المؤامراتِ من يومئذ ولا تَنْسَ أنّ المال شقيق الرُّوح ! !

المؤلف يحمل على قراء القرآن

اعتاد بعض القرّاء تلاوة كتاب الله تعالى فى المقابر ، وفى الطرقات العامّة ، وفى المنازل بحضرة النساء ، وأمام من لا يعرف للقرآن حرمة كشارب دُخَان ومهوّش أثناء القراءة غير مُنْصت ، كما اعتاد بعضهم التلاوة المحرّفة غير المشروعة فنصح المؤلفُ لِلقُرّاء أوّلا بالحسنى ثم أخذ يزجرهم ويبين لهم أنهم آثمون وأنّ القرآن الكريم سيكون حجة عليهم لا لهم يوم الوقوف بين يدى ملك الملوك مُذِلّ الطُّغاة والعصاة . وبين للناس ما ينبغى أن يتحلّى به القارئ والمستمع من الآداب والتدبّر والاعتبار . فهدى الله على يديه كثيراً ممن أراد الله بهم الخير وألهمهم الرشد « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم »(1) أخرجه الشيخان عن أبى العباس سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِىّ .

المؤلف يرى البدع فاشية فى الأزهر والمساجد الأخرى

رأى المؤلف البدع فاشية فى الأزهر كعبة العلم ، وفى مساجد القطر وهو يعلم أنّ الناس تسير وراء العلماء شِبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وأنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حاجة إلى أدلة صحيحة صريحة تزِيل الشبهاتِ حتى يظهر الحق ناصعاً ، وأنه لا بدّ مع هذا من أخذ أقوال العلماء أرباب المذاهب عن تلك البدع والمنكرات التى شاعت وذاعت وحلت محل السنن والمأمورات حتى التبست على المتعالمين أنفسهم لسكوت فطاحل العلماء عنها فجاهد المؤلف جهاد الأبطال ، ورفع أسئلة بذلك إلى حضرات السادة العلماء ، فأجابوا بأنّ جميع بدع العبادات باطلة لا يجوز العمل بها كما هو مقتضى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهّرة ،

---

(1) (حمر) جمع أحمر (والنعم) الأنعام والمراد بها الإبل . وحمر النعم كانت أجود الإبل لذلك عناها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

وأمضى بعضهم على هذه الفتاوى وختم آخرون. ولما تسلم المؤلف الفتاوى دوّنها في كتاب أسماه (فتاوى أئمة المسلمين) وقام بطبعه ونشره بين الناس ولا تزال صور هذه الفتاوى لمشايخ الأزهر وكبار علمائه محفوظة لمن يريد الاطلاع عليها في أى وقت يشاء. ثم أخذ المؤلف ينشر كتباً ورسائل يبين فيها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونصوص أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم، أنّ الدين ما كان عليه رسول الله «صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله» وأصحابه والأئمة المجتهدون رضوان الله تعالى عليهم، وقد عُرضت هذه المؤلفات على جهابذة العلماء فاطلعوا عليها وقرّظوها تمام التقريظ، واعترفوا أنّ ما فيها صواب وحكمة، وأنّ من يخالف أحكامها يكون مبتدعاً آثماً، وقد طبعت هذه الكتب والرسائل وتناولتها الأيدى، فعمل بها الكثيرون بعد أن ظهر لهم أنّ البدع التى فى الأذان والصلاة والصيام والحج والأفراح والمآتم والأضرحة والملْبَس والمطْعَم وغيرها مضادّة للدين، أحدثها من لا خَلاق لهم، وتعودها الناس حتى اختلط الحابلُ بالنَّابِلِ[1].

وماذا كان بعد هذا؟ تبرم[2] الناس ممن سكت من السادة العلماء هذه السنين الطويلة على هذه البدع الطاغية حتى تركوها تفْرخ كل يوم، وتناولوا العلماء بألسنة حِدَادٍ. عند ذلك شعَر العلماء بما يُحيط بهم من خطوب وأهوال فأخذوا يدبرون للمؤلف مايدبرون، ويُشيعون بين الناس أنه يكفرهم ويكفر سواد الأمة، وهذا منهم أمر طَبَعِىّ ألفته النفوس. وما أراد المؤلف للعلماء والعامّة إلا خيراً دنيا وأخرى.

المؤلف يؤدى امتحان العالمية بتفوق

كان الأزهر يعنَى أبناؤه العناية التامة بدراسة العلوم الشرعية والعربية ومن أراد أن ينال شهادة العالمية، وضع رسالة فى مبادئ هذه العلوم يقدمها إلى شيخ الأزهر مرافقة لطلب الامتحان. والمؤلف لا طَاعية عنده فى نَيل هذه الشهادة،

(١) (الحابل) سدا الثوب (والنابل) لحمته (٢) (تبرم) ضجر وتألم.

التى من ورائها الرواتب والمناصب ، إذ أن نفسه الطاهرة لها اتّجاه غير هذا . ولكن أحد تلامذته أشار عليه أن يتقدم إلى الامتحان ، ونيته تعليم أبناء الأزهر ومَنْ سواهم بعد نيله الشهادة كَيْما يُسايرَ الناس وهم يعتقدون أن العلم لا يؤخذ إلا ممن لديه هذه الشهادة ، فانشرح صدره ووضع الرسالة وقدمها وبعد البحث اتضح أنّ اسمه غير مُدْرَج فى سِلْك الطلاب ، ولم تكن له مدةمعلومة فلا يقبل طلبه ولكن الله القدير يَسّر له الصِعّاب !! وفى الأربعاء اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف (سنة ١٣١٣ هـ) ١٥ من يناير سنة ١٨٩٦م أدّى المؤلف الامتحان أمام اللجنة المكونة من حَضَرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الأجلاّء الشيخ حَسّونه النَّوَاوِى شيخ الأزهر ومُفْتى الديار المصرية. والشيخ بكْرى عاشور الصِّدْفِىّ والشيخ عمر الرافعى الحنفيين. والشيخ أحمد الرِّفاعى والسيد على الْبِبلاوِى المالكيين . والشيخ محمد حسين الإبريرِى . والشيخ سُليمان العَبد الشافعيين . ولقد كان إعجاب اللجنة به عظيما وسرورها فائقا وجاوز المؤلف الميدان ظافرا منصورا ! !

وتصادف أن المؤلف قبل أن يؤدى الامتحان ألف كتابا أسماه (الرسالة البديعة الرفيعة . فى الرد على من طغى نخالف الشريعة) وخطبته ملأى بإشارات التصوف فطلب منه الأستاذ الشيخ عمر الرافعى قبل أن يُغادرَ اللجنة أن يروِّح أفئدتهم بُطرفة من التصوف ، واستعان بالشيخ حسونة ليجاب الطلب . فقال المؤلف : «إن القلوب ممتلئة بحب الدنيا فلا تقبل شيئا من التصوف» . ولا زال مُصِرًّا على هذا الامتناع بعد إلحاح الشيخ النواوى . فتألم جدّ الألم الشيخ الرافعى ظانًا أن المؤلف شامخ بأنفه متكبر ، غير أن السيد الببلاوى أفهمه وأفهم الأعضاء أن الأستاذ محمودا صريح غير متكبر ، وهو رجل جاهد نفسه ، وتعلق بربه تبارك وتعالى !

المؤلف يشق للأمة طريقا فى الحياة عمليا

﴿ وبعض الشيوخ يكيد له ﴾

بعد نيله إجازة التدريس عُنِىَ جد العناية فى دروسه التى كان يلقيها فى الأزهر

المعمور وغيره على مئات الطلاب ، ببيان البدع الفاشية والخرافات المضلة ، محذرا الناس وبخاصة ذوى العلم من ارتكابها والسير فى طريقها المعوَجَّة ، مرشدا إلى العمل بهدى الرسول الأمين . وصحبه الطيبين الطاهرين . وبهذا تبين لكثير من أهل العلم أنّ مايرونه محيطاً بهم من البدع والمنكرات فى المساجد وسواها، لا يتفق ومبادئ الدين الحنيف ، وأنهم لابدّ مسئولون أمام الله تعالى بتفريطهم وسيرهم فى طرقاتها ، والعامّة من ورائهم يعمَلون ويقدّسون كما عمِلوا وقدّسوا . ولما رأى فريق من شيوخ الأزهر أنّ دعوة المؤلف كل يوم تزداد . وأنهم لا يسلمون منه أخذوا يصطادون فى الماء العَكِر ، ويُؤَلِّبون عليه ويُبَيِّتون ما الله به عليم ! !

وأَيْمُ اللهِ لقد عملوا كل ما فى وسعهم من تقديم شكاوَى إلى أمير البلاد الخديو السابق فوضعت فى زوايا الإهمال ، وعادوا بُخُفَّى حُنَين ! ! ويا ليتهم اكتفَوْا بهذا بل عمَدوا إلى دار الحماية البريطانية يشكون . وماذا كانت شكايتهم؟ إنّ السبكى قائد جيشٍ عَرَمْرَمٍ من التلاميذ والأتباع وهذا الجيش خطر على الأمن العام فى البلاد . ولكن بعد التحرّى وبَثّ العيون والأرصاد ، تبين أنّ الرجل برىء ، وأنه يدعو إلى الله تعالى وإلى العمل بدينه ، والاعتصام بسنة حبيبه السيد الهادى الأمين « صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله » وأن مَنْ حوله من هذه الجموع المحتشدة قوم أخيار يعملون لدينهم قبل دنياهم .

ولما فشِل هذا الفريق فى مسعاه السياسى لجأ إلى شيخ الأزهر إذ ذاك المغفور له الإمام الوقور الشيخ سليم البشرى طالباً تشكيل مجلس علمى يناظر المؤلف ويبحث معه فيما يدّعيه من البدع الفاشية ، والسنن المتروكة ، فأرسل شيخ الأزهر إليه يدعوه فلبىّ مسرعا . وكانت المناظرة فى إدارة الأزهر فقارعهم بالحجة والدليل فهزمهم وولّوا مدبرين ! !

ولبِث المؤلف يجاهد بقلمه كما جاهد بلسانه فتراه ينشر بين الناس المؤلفاتِ القيمةَ تدعوهم إلى ما كان عليه النبى وأصحابه والسلف الصالح والأئمة المجتهدون ، والعلماء العاملون . وهذه المؤلفات ليست فى حاجة إلى إطراء وتقريظ . عرفها

مَن اطلع عليها ، وسيعرفها مَنْ يطلع عليها بعدُ إن شاء الله تعالى . ويبلغ ما علمنا به منها ثمانية وعشرين مؤلفاً. وفيما يلى أسماؤها : —

١ أعذب المسالك المحمودية : فى التصوف والأحكام الفقهية . أربعة أجزاء.
٢ حكمة البصير : على مجموع الأمير « فى فقه الإمام مالك » . أربعة أجزاء
٣ هداية الأمّة المحمدية : فى الحكم المحمودية السنية. وهو ديوان خطب منبرية .
٤ إصابة السهام : فؤاد مَنْ حاد عن سنة خير الأنام .
٥ تحفة الأبصار والبصائر : فى بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر .
٦ الرسالة البديعة الرفيعة : فى الرد على من طغى فخالف الشريعة .
٧ حاشية ديباجة الرسالة البديعة .
٨ المقالة الشرعية للرآسة الإسلامية .
٩ غاية التبيان : لما به ثبوت الصيام والإفطار فى شهر رمضان .
١٠ العهد الوثيق : لمن أراد سلوك أحسن طريق .
١١ النصيحة النونية . فى الحث على العمل بالشريعة المحمدية .
١٢ تعجيل القضاء المبرم : لمحق مَنْ سعى ضد سنة الرسول الأعظم .
١٣ فتاوى أئمة المسلمين . بقطع لسان المبتدعين .
١٤ سيوف إزالة الجهالة . عن طريق سنة صاحب الرسالة .
١٥ فَصْل القضية . فى المرافعات وصُوَر التوثيقات والدعاوَى الشرعية .
١٦ المقامات العلية . فى النشأة الفَخْمة النبوية .
١٧ السم الفعَّال . فى أمعاء فِرَق الضلال .
١٨ الصّارم الرنّان . من كلام سيد ولد عدنان .
١٩ العَضْب المنظوم . للذَّبّ عن سنة المعصوم .
٢٠ الرياض القرآنية . فى الخطب المنبرية .
٢١ خُلاصة الزاد . لمن أراد سلوك سبيل الرشاد .
٢٢ رسالة البسملة .

٢٣ رسالة مبادئ العلوم ٢٤ الحكم الإلهية بالدلائل القرآنية (فى الخطب المنبرية)
٢٥ إتحاف الكائنات . ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات
٢٦ المنهل العذب المورود . شرح سنن الإمام أبى داود (طبع منه عشرة أجزاء) تنتهى إلى « باب الهدى » من كتاب الحج ، والأجزاء الأربعة من الحادى عشر إلى الرابع عشر تكملة المنهل العذب . ويظهر ما بعدها إن شاء الله تعالى .
٢٧ الدين الخالص . أو إرشاد الخلق إلى دين الحق . طبع منه ثمانية أجزاء تنتهى بانتهاء كتاب الصيام (والتاسع) إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك وهو يجمع مناسك الحج باستفاضة وعلم غزير ٢٨ محور الوصول . إلى حضرة الرسول

أيها القارئ الكريم

إنّ أمامك هذه الصحفَ المطهرةَ هى كتب قيمة تناديك من كل مكان فى ذهابك وإيابك ، وحلك وترحالك . فهل متّعت بصرك بقراءتها ؟ وأنت ذو عقل سليم وتفكير صحيح . فلا يؤثر عليك سحر المؤلف . ولا طلاوة[١] أسلوبه ، بل يأخذ بلُبك ساطع حجته ، وقوّة منطقه ، ونور برهانه . فعليك بمطالعتها ، والتزوّد منها . وما نريد منك إلا العمل بما فيها إن كنت مُنْصفاً رشيداً .

ولا تظنّ أيها القارئ أنّ المؤلف خارت[٢] عزيمته ، وكَلّتْ همتُه إزاء هذه المناوشات . بل سار فى طريقه دائباً مجاهداً معتمداً على ربه ، مستعيناً بحوله وقوّته ومن استعان بربه رعاه ونصره نصراً مُؤَزّرا . ولقد صدق الله تعالى إذ يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإنّ الله لمع المحسنين » نعم هداه الله إلى سبيله ، فلم يَثْنه شىء عن قيامه بالنصح والإرشاد ولم يتحوّلْ قيد[٣] شعرة وما برح

(١) (طلاوة) بالضم . والفتح لغة أى بهجة . (٢) (خارت) أى ضعفت . يقال : خار الرجل يخور : ضعف ، فهو خوار . اهـ مصباح . ومن ذلك تعلم أن خار أصله خور بفتح فكسر مثل خاف أصله خوف فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
(٣) (قيد) أى قدر . فى المصباح : وقيد رمح بالكسر وقاد رمح أى قدره .

مثلا عاليا للثبات على المبدإ ونبراساً[1] وضّاء للتضحية بنفسه وماله ووقته .

وهل يخطر ببالك أنّ المؤلف وقفت همته عند التدريس والوعظ والتأليف؟ معاذ الله!!

وكيف تقف تلك الهمة الوثابة ؟ همة زعيم مصاح خطير ، نشأ متحركا وعاش متحركا.

ومن كان هذا دأبَه فهو مؤسس جماعة ، وواضع لها نظاما وقانونا يكْفُلُ بقاءها ودوامها.

المؤلف ينشئ الجمعية الشرعية

إنّ جهاداً فى سبيل الله ، وفى سبيل نُصْرة دينه ، وإحياء العمل بسنة حبيبه المصطفى سيد المصلحين وإمام المتقين «صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم» - يَلْبَث زُهاء[2] عشرين عاما (من سنة ١٣١٣ إلى سنة ١٣٣١ هـ) لابدَّ أن يُحاط بسياج[3] متين ، وسور منيع يكفلان راحة من انضَووْا[4] تحت راية هذا الجهاد ولا شىء أبقى لوحدة الأفراد من تكوين جماعة. وفى الحديث « ويدالله على الجماعة» أخرجه الترمذى عن ابن عباس والبزّار عن سَمُرة بن جُنْدُب .

عُنى المؤلف فى الأربعاء غرة المحرم سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف (سنة ١٣٣١ هـ) ١١ من ديسمبر سنة ١٩١٢ م بتكوين جمعية أسماها (الجمعية الشرعية : لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية) ووضع لها قانوناً محكما منظما . موادّه ترشد إلى عملى الدنيا والآخرة وتدعو إلى الحُسْنيين . وقد سارت عليه الجمعية بإشراف مجلس إدارتها تحت رياسة المؤلف زُهاء رُبُع قَرْن (من سنة ١٣٣١ إلى سنة ١٣٥٢ هـ) وهى تتقدّم باطراد كل عام بفضل رجالها الذين صفت نفوسهم ، واعتمدوا على بارئهم فى جميع شئونهم ، يفرون من الكسالى المتعطلين والخاملين فِرارَ السليم من الأجرب ، وإذا فتشت بين صفوفهم فلا ترى متسولا ، ولا متسكعاً بل ترى كل من انضم إلى هذه الجماعة . قد شق لنفسه طريقاً فى الحياة يسلكه إلى عمل مشروع . شأنُ المسلمين فى صَدْر الإسلام ، ومن بعدهم أيام عزتهم وصَوْلتهم .

(١) (النبراس) المصباح. (٢) (زهاء) كغراب: أى قدر (٣) (السياج) ككتاب: ما أحيط به على شىء (٤) (انضووا) أى انضموا ودخلوا .

آثار الجمعية

(الوعاظ . إنشاء المساجد . شركة المنسوجات الوطنية)

فى مقدمة آثار هذه الجمعية الناهضة وُعَّاظُها الذين يبلغ عددهم أكثر من مائتَىْ واعظ اختارتْهم من بين أفرادها المثقفين المدربين للقيام بتعليم العامة أصول الدين وفروعه فى دروسهم ومحاضراتهم. لا يفتُرون عن غرس مبادئ الدين الصحيحة فى نفوس إخوتهم المؤمنين واللين رائدهم . والرفق حليفهم والموعظة الحسنة دَيْدَنُهم . والحكمة وسداد الرأى قبلتهم . سُمَحاء حُنَفاء ، لا مشددين ولا معسرين ولا متنطِّعين ولا رَجْعِيين .

ولقد وضعت لهم الجمعية منشوراً عاماً يسيرون على ضَوْئه . لا يلِى أحدُهم هذا المنصبَ الإسلامىَّ الرفيع إلا بعد أن يتعهد كتابياً بالسير على مقتضاه . والمنشور كله خير مما يدل على أن الجمعية جِد حريصة على المحافظة على الوَحْدة الإسلامية ، بعيدةٌ كُلَّ البعد عما يوجب تفريقاً وانشقاقا وصَدْعا وانثلاما . وإليكم هذا المنشور العامَّ بنَصِّه . وهو والجمعية الشرعية تَوْءمان ولدا عام التكوين (سنة ١٣٣١هـ) ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حَمْدَ من وعظ نفسه قبل أن يعِظ سواه ، والصلاة والسلام الدائمان الأتمان على كوكب الإرشاد ومَنار الهُدُاة ، وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله .

(أما بعد) فقد رأت الجمعية الشرعية فى حضرة الأستاذ الفاضل . . . . . . من المكانة الأخلاقية والعلمية ما يؤهله لأَنْ يَجُوبَ فدافد[1] الأرض شرقا وغربا وجنوباً وشَمالاً يعظ المسلمين ، ويرشد الحائرين ، ويذُبُّ عن دين الله شُبَهَ الضالين والمارقين . لذلك أسندت إليه هذا المنصب السامى مع علمها بخطورته

(١) جمع فدفد بوزن مكتب وهو الفلاة والمكان الصلب الغليظ والأرض المستوية :

ووُعورة مسالكه . والجمعية ترجو منك أيها الأستاذ أن تتقى الله فيها وفى نفسك وفى المسلمين . فإنك قد أصبحت أميناً على دين الله ، مالكا زمامَ مَنْ ترشدهم تقودهم إلى حيث تريد . كجنتهم ونارهم بين لَحَيَيْكَ(١) .فيجب إذاً أن تجعل مركزك فوق مركز ذلك الطبيب الحاذق الذى يعطى من الأدوية لكل مريض ما يناسبه بمقاديرَ خاصَّة لا يَنْقُصُ ولا يَزيدُ عليها شيئاً . يعرف أن التَّباب فى طرفى الإفراط والتفريط . وإن الجمعية تُبيح لك أن تَغْدُوَ وتَروح فى تعليمك ، واضعاً نُصْبَ عينيك إفادةَ المسلمين ، مُتَدَلِّياً فى ذلك من أهمّ إلى مُهِمّ فتبتدئ بغرس العقائد فى نفوس مَنْ تباشر تعليمهم ، مراعيا مذهب أهل السنة والجماعة ، بعيداً عن المشاغبات الكلامية والبراهين المنطقية لصُعُوبتها على أفكار العامَّة من الناس . وتُرْدِف ذلك بتعليم مالا بد منه من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتتبع هذا نهيَهم عما هو فاش فى البلاد من المنكرات كترك أركان الإسلام وكالرِّبا والزِّنا وشرب الخمر والقتل وتعاطى كل مسكر من الأنبذة والحشيش والمنازيل . وتنهاهم أيضا عن السرقة والغش والايْمان الفاجرة والنميمة والغيبة وسمّ البهائم وشق بطونها وحَرْق المزروعات وتقليعها ، والحسد والحقْد والكِبْر والعُجْب والرِّياء والمِراء . وتنهاهم أيضاً عن لَعِب الكاب المعروف والسِّيجة والطاولة والكُنْشينة وغير ذلك من كل فعل باطنى أو ظاهرى قبيح . ثم تُعَرِّجُ بهم إلى رِياض الآداب النبوية والأخلاق المحمدية كالحِلْم والصبر والتواضع والكَرَم والرَّغْبة عن الدنيا وفى الآخرة وحب الخير للمسلمين والسعى فيما يزيل الأحْقاد من نفوسهم ، والتزاوُر فى الله ، وإفشاء السلام ، والتعاوُن على البر والتقوى . وتُعلمهم لِباس النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأُكله وشُرْبه وغيرَ ذلك من كل خُلُق نبوىّ يتعلق بعادة أو عبادة تمنحهم منه ما يطيقون . ثم تَنْحَدِر إلى ما يخالف ذلك من البدع فتنبه عليه حاثا على اجتنابهم إياها، اقتداء بنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم

(١) (اللحى) عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث ينبت الشعر . وهو أعلى وأسفل . ويجمع على ألح ولحى مثل فلس وأفلس وفلوس

وحبا فى أدب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبُغْضاً لما سواه بعبارة يفهمها العامّ والخاص يَصْحَبُها التأنّى ، فإنّ فى الناس الغبىّ والذكىّ .

كل ذلك وأنت رَحْب الصدر ، حُلْو اللسان ، طَلْق الوجه ، أزهد الناس وأبعدهم عن الفُحْش فى القول ، تَسَعُ السفيهَ والجاهل والمتعنت جاعِلاً مِحْوَرَكَ الذى يدور حولَه الـكلامُ ، قولَه تعالى على لسان سيدنا لقمانَ رضى الله عنه إذ يقول لابنه ﴿ وأمر بالمعروف وأنْهَ عن المنـكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور) وقوله تعالى : (ادْعُ إلى سبيل ربك بالحـكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُمْ بالتى هى أحسنُ)

وإياكَ ثم إياكَ أن يخطر ببالك أن تتكلم فى موضوع سياسى ، فإن ذلك ليس من شأنك . وحسبُنا فى ذلك حكومتُنا السَّنيَّةُ (حفِظها الله وقواها) . ومعلوم أن الدينَ دينُ الله ، والهدايةَ لدينه بيده لا يملـكها سواه. وليس علينا سوى أن نُعرّف، والحملُ على الأمور والتَّعبُ لتنفيذها خارجٌ عن الواجب علينا ، فلا تتعرض له فمن سمع وعمل فالخير أراد لنفسه . ومن أعرض عنا وتركنا وما نأمر به ، فالخيرَ أرَدْنا ، وما علينا إلا البلاغ اتباعاً لسيدِنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ووقُوفا على ما حده الله له إذْ يقول : ـ (إن عليكَ إلا البلاغُ) .

إنشاء المساجد

ومن آثار الجمعية التى تُغْتَبطُ عليها ، إنشاؤُها المساجد العديدة فى مُدُن الجمهورية وقُراها . وفى مقدمتها المسجد الـكبير بالقاهرة (فى عطفة الشيخ السبكى بشارع الخَيَمية على مقْربة من باب زُوَيْلةَ « بوابة المتولى » وجامع الوزير طلائع بن رُزيكَ الأثرى) وكان الفراغ من بنائه وتنْسيقه سنة ١٣٤٢ هـ . هذا المسجد الـكبير أنشأته الجمعية فى حياة المؤلف « أمام داره الفسيحة التى يؤمها القاصى والدانى » على قطعة أرض تبلغ مساحتُها ثلاثة أمتار ومائتين (٢٠٣ من الأمتار المربعة) وفيه تصلى الجمعة ، والصلوات الخمس كصلاة الرسول وخلفائه ومن استقوْا من شرْعة الرسول صلى الله

عليه وعلى آله وسلم ؛ وكم كنت تُسرّ وينشرح صدرك حينما ترى الأستاذ المؤلف المرحوم بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع متربعاً على كرسيه فى تلك الرُّقْعة البسيطة من الأرض يحتفُ به حزبُ الله وجنود الله ، كأنما على رءوسهم الطيرُ . والشيخ ينثر بينهم الدُرر والجواهر من عظاته البالغة ، ونصائحه الحكيمة بأسْلوب واضح جلىّ تصل آثاره إلى النفوس قبل الرءوس ، فيهذبها ويحييها . وفى المجلس الحاشد العالمُ وغيرُه ، فيأخذ كل بغيته وفوق مايتمنى. وماأقتصر المؤلف (تغمده الله برحماته) على موعظة هذا اليوم الأسْبُوعِى . بل كان يُلقْى درسين فى هذا المسجد بعينه ليلةَ الجمعة وليلةَ السبت من كل أسبوع فى الحديث النبوى . فدرس سنن الإمام النسائى كلها . وجزءا غير قليل من سنن الإمام أبى داود . وما عاقه عن إتمامه إلا المنية أسبغ الله عليه الرحمة وعمه بالإحسان والرضوان .

وإنك لتعجبُ العجب كله وأنت متعلم مثقف حينما ترى الأمى الساذَج يجلس بجوارك جنْبا إلى جنب يتفهم أحكام الدين بسهولة من غير تكلف ومن غير ما حرج!

ألاَ إن هذا المسجد المؤسس على تقوى من الله ورِضْوانٍ ، ينادى المسلمين أنْ يغدوا إليه ليروْا صُورة مُكَبرةً لعهد أول الإسلام غير مشوبة بما يبرأ منه الإسلام!

والله تعالى يعلمُ أن الجمعيةَ ما أرادتْ بإنشاء مساجدها المتعددة فى القاهرة وسواها من بُلْدان القُطْر ضِراراً ولا تَفْريقاً بين المؤمنين ؛ بل ما قصدتْ إلا إرشاد المسلم إلى عبادةٍ نَقية نائيةٍ عن الجَلَبةِ والضَوْضاء والتَهْويش ، عبادةٍ ملؤُها الخشوعُ والخضُوعُ لله الملك القُدُّوس ، الذى يعلم خائنةَ الأعين وما تخْفى الصُدُورُ .

هذا ، وإن مساجدها مُفتحةُ الأبواب من مطلع الفجر إلى ساعة متأخرة من الليل . يتردد إليها المسلمون على اختلاف طَبقاتهم فيجدون إخواناً لهم رُحماء فرحين مستبشرين !

المنسوجات الشرعية

ومن آثار الجمعية الميمونة تلك المنسوجات الشرعية الوطنية . التى كانت تصنع

بمصنع الجمعية ، وتباع فى مركزها الرئيسى وفى الفروع التابعة لها . وهذه المنسوجات حَسَنَةٌ من حَسَنات المرحوم الإمام ، ورَمزٌ منه للنهوض بالمسلم الوطنى فى مصاف أبناء الغَرْب ؛ من يأخذون نَبات التربة المصرية من قُطْن وكَتّان وغيرهما بأبخس ثمن ، ويردونه إلينا منسوجا ، الدرهم منه بعَشرات الدنانير ! .

ومنسوجات الجمعية الشرعية من قطنك وكتانك أيها المسلم الوطنى . فلا ترى فيها حريرا فى حين أنها أجود من الثياب الحريرية ، ولاتقِلّ عنها نُعُومة. وهى تنأى بلابسها عن الحرام والمكروه وما فيه ريبةٌ واشْتباه. فالبَسْ منها ياذا العقل الراجح، وترحم على الإمام المؤلف الراحل . مَنْ خرّج فى المدرسة الشرعية المحمدية مسلمين عمليين . عبادتهم ومساجدُهم وملابسهم يضارع ما كان عليه سلف الأمة « رضى الله عنهم ورضوا عنه » . ظلت هذه المنسوجات سنوات طوالا ، وما استغنت عنها الجمعية وعن مصنعها إلا بمزاحمة المنسوجات الأخرى الوطنية الكثيرة

المؤلف يودع الأزهر

لبث الشيخ يدرس بالأزهر بعد نيله العالمية سبعاً وثلاثين سنة من (١٣١٣ إلى ١٣٥٠ هـ) وما ترك الأزهر زَهادة فيه ، بل حال بينه وبين مواصلة جهاده فيه، إحالة مجلس الأزهر الأعلى له على التقاعد بجلسة يوم الخميس الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٣١ م وإنها لجلسة صارخة روّعت فداحتُهَا العالمَ الإسلامى أجمع ، إذ بلغ فيها عدد المحالين إلى المعاش والمفصولين من الأزهر والمعاهد الدينية سبعين عالما . كثير منهم فى مُقتبل العمُر ، ونَضْرة الشباب ، وبذا نكل المجلس بسبعين أسرة، وسامها سوء العذاب!! وكان ذلك فى عهد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى . وفى عهد رئيس الوزراء حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا .

ولا تحدثْك نفسك أن الشيخ مال إلى الراحة بعد نصب وطول سهادٍ[1]

(١) (السهاد) بضم السين الأرق . وبابه طرب .

كما مال غيره من المعمرين . بل ما زال عاكفاً على العمل ، فى داره بين مسجده الزاهر ، ومكتبته العامرة ، ومؤلفاته القيمة ، وجمعيته الشرعية الميمونة ، وتلامذته العديدين الوافدين إليه يغترفون من منهله العذب ، ويحيطون به إحاطة الهالة بالقمر فى مجلسه الخاص بعد عصر كل يوم ، ويعلوهم جميعاً حياء وأدب جم من هيبة الشيخ وجلاله . وما يمنعهم حياؤهم السؤال عن مهمة دينية أو دنيوية . ومن جلس منهم لا يفك حبوته إلا مؤذن المغرب ، يدعوه إلى الوقوف بين يدى الحى القيوم ! !

المؤلف يودع الحياة

وما طالت حياة الشيخ بعد وداعه الأزهر ، إنها لمدة قصيرة : سنتان إلا نحو شهرين . فى نهايتها يزوره الموت الزؤام . وما اشتكى ألما ، وما انقطع عن عمله الموصول ، ولا عن مجلسه الخاص إلا بعد عصر الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام اثنين وخمسين وثلثمائة وألف (١٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ) .

وفى صبيحة يوم الجمعة الرابع عشر منه ، أطل على بعض تلامذته من نافذة حجرته ، فناوله آخر ملزمة من الجزء السادس من شرحه لسنن الإمام أبى داود (المنهل العذب المورود) كان يصححها لترسل إلى مطبعة الاستقامة . ولما حان وقت صلاة الجمعة ، أخذ القوم يلتفتون يمنة ويسرة ، علهم يحظون بطلوع الشيخ عليهم متقدما إلى الصف الأول ، يستمع إلى الخطيب ، ويؤدى صلاة الجمعة ويعظهم بعدها كعادته. فما حظوا ، وارتد البصر منهم وهو كليل ! ! وما حسبوا أن فقدانهم الشيخ هذه الساعات ، يكون فقدانا لا رجعة بعده ، ولا لقاء إلا يوم اللقاء ! !

ساعة الوداع :

وفى منتصف الساعة الثانية بعد ظهر (الجمعة ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ) ، (٧ من يوليه سنة ١٩٣٣ لفظ الشيخ آخر نفس من أنفاسه الطاهرة ، وجاد بروحه العظيمة

الوثّابة المتفانية فى نصرة الدين والسنة المطهرة ، لا يبتغى شُهْرة ولا أَثَرة(١) وكان النبأ مروِّعا ، وكانت الفاجعة أليمة ، والكارثة عُظْمى ، والخسارة غير هَيِّنة وليست على مسلمى مصر فحسبُ ، بل على مسلمى الشعوب التى عرفت مكانته ، وانطوت قلوبهم على محبته ، وعلى العملِ بما كان يدعو إليه من خير العمل. وكم كَانَتْ دَهْشةُ الناس وحَيرتُهم بهذا النبإ المزْعِج إذ فقدوا إمامهم ومَحَطَّ آمالهم ، من كانوا إليه يُهْرَعون . وبدعوته إلى العمل بالدين الحق يسارعون . وكم كانت آلامهم التى تُفَتِّتُ الأكبادَ ، وتَصْدع الأفئدة ، وتحزُّ حَنايا(٢) الضلوع ، حينما وثِقوا أنّ الشيخ يُنْتَزَعُ من بينهم انتزاعا إلى مقره الأخير ، إلى رَوْضته النَّدِية إلى جَدَثه مَهْبِطِ الرحمة والرِّضوان، بعد أن صلى عليه أكبر أنجاله الكرام الأستاذ السيد أمين ، يؤُمّ الجمَّ الغفيرَ ممن وصل إليه النبأُ من سكان القاهرة ، وهم قُلّ من كُثْر من تلامذته ومحبيه المنتشرين فى القاهرة وضواحيها وبُلْدانِ القطر وغيره من الأقطار العربيّة .

تشييع الإمام الراحل إلى قبره .

صلى عليه هذا الجم الغفير فى ساحة داره الواسعة بجوار مسجده المعمور . ثم أخذ الناس يتهافتون على حمل سريره كلما مر عليهم . وكنت ترى الشوارع مُكْتَظَّة تموج بهم مَوْجا . حتى إن السرير كانت لا تُبصره العيون من ازدحام الجموع المشيِّعة ، وكلهم تبدو على وجوههم علائم الأَسَى والحزن ! !

واخترقت الجنازة فى سيرها شوارع الخيمية ، والغُورِيَّة ، والسكّة الجديدة ، والمشهد الحسينى ، والدراسه ، وقرافة المجاورين ، وخَوَنْد طُولَباىْ والسلطان أحمد ثم شارع قرافة باب الوزير . وفيه مدفن المرحوم إبراهيم باشا حليم . ثم انعطف السائرون يمنة مخترقين شارع حسن بك حُسنى . وفيه على يسارهم المقبرة الشرعية ،

(١) (الأثرة) بفتحتين ، اسم من استأثر بالشىء استبد به .

(٢) (تحز) أى تقطع الضلوع الشبيهة بالحنايا جمع حنية كفنية وهى القوس .

للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية والمقبرة فى مِنْطَقة قرافة المجاورين حسب التخطيط الجغرافى ، رَسْم مصلحة المساحة المصرية . وفيها لَحْدٌ شرعِيّ ، بُنى فى عهد الإمام الراحل ، واختاره مسكنا له فى آخرته أسلمه مشيعوه إليه وعادوا بعد المغرب ما بين ذاهل وواجِم ! !

طريقان آخران للمقبرة الشرعية

الطريق الأول يبتدئ سالكه السير من المنشية مارّا بسكة المَحْجَر على مسجد المحمودية[1] وعلى يمينه أسوار قَلْعة محمد على باشا[2] . ثم يتجه إلى الشمال مخترقا شارع المحجر حتى يصل إلى حارة باب التُرْبة . وهى عن يمينه ، وبها سبيل ومسجد طراباى عن يساره . ثم ينفُذ من باب الوزير الأثرى إلى شارع قرافة باب الوزير متجهاً إلى الشمال الشرقى ، فيلتقى عن يمينه بثلاثة قبور داخل مستطيل من أعواد حديدية لا سقف له . هذه القبور الثلاثة أنشأتها مصلحة التنظيم المصرية لحفظ رُفات بعض الأولياء الذين عَثَرَتْ عليهم ، وهى تَهْدِم بعض الشوارع لتجديدها وتوسيعها (أمّا القبر الأول) ففيه (١) ولى الله الشيخ محمد العراقى المنقولة رُفاتُه[3] يوم الأربعاء ٣٠ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ هـ . ومعه ولى الله الشيخ محمد أبو قُوطة ،وجثة أخرى نقلا يوم الأحد ١٨ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ (ب) سيدى محمد الخوّاص نقلت رفاته يوم الثلاثاء ١١ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ وكان أولا بحارة الخوّاص. بشارع الإنْبابىّ تبع قسم باب الشَّعْرِيّة(والقبر الثانى) به ولى الله الشيخ محمد الشافعى الرِّفاعى الشهير بالأربعين . نقلت رفاته يوم الأربعاء ٢ من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ . وكان أولا بجُنَيْنة قاميش بشارع الخليج المصرى تبع قسم السيدة زينب (والقبر الثالث) به السيدة غُنْيا بنت نور الدين أبى بكر المتوفاة

---

(١) نسبة إلى الأمير محمود كان حاكما على مصر سنة ١٥٦٠ م وأنشأ مسجده عام ٩٧٥ هـ وقتل بمقذوف نارى يوم الأربعاء آخر جمادى الأولى سنة ٩٧٥ هـ ودفن بتربته فى جامعه المطل على ميدان الرميلة .

(٢) أنشأ مسجده بالقلعة سنة ١٢٤٦ هـ (٣) المراد بالرفات الجثة .

أول ذى الحِجّة سنة ٦٦٤ هـ نقلت رفاتها من شارع عاكف بالعباسية يوم الاثنين ٢٩ من رجب سنة ١٣٤٣ هـ .

والمسافة من باب الوزير إلى مقبرة مصلحة التنظيم تقدر بكيلومتر تقريبا وتقطع فى عشر دقائق . وأمام هذه المقبرة قناطر باب الوزير تعلوها سكة حديدية قديمة مُعَطّلة الآن . ينفذ السائر من القناطر متجهاً إلى الشمال مسافة تسعين متراً فى شارع قرافة باب الوزير نفسه . ثم ينعطف عن يمينه فيجد شارع حسن بك حسنى فيسلكه متجهاً إلى الجنوب الشرقى ، قاطعاً مسافة قدرها ٢٤٥ مترا فى نهايتها المقبرة الشرعية المذكورة . وعلى مسافة ثمانين متراً من باب المقبرة يرى الناظر سكة حديد الحكومة المصرية (خط المحاجر) كما يرى جامع التَنْكِزيّة الأثرى فى الجنوب الشرقى ، ويَبْعُد عن السكة الحديدية بمقدار سبعين متراً (انظر المصورَ الجغرافىّ شكل (١) المبتدأ من منتصف شارع قرافة باب الوزير) .

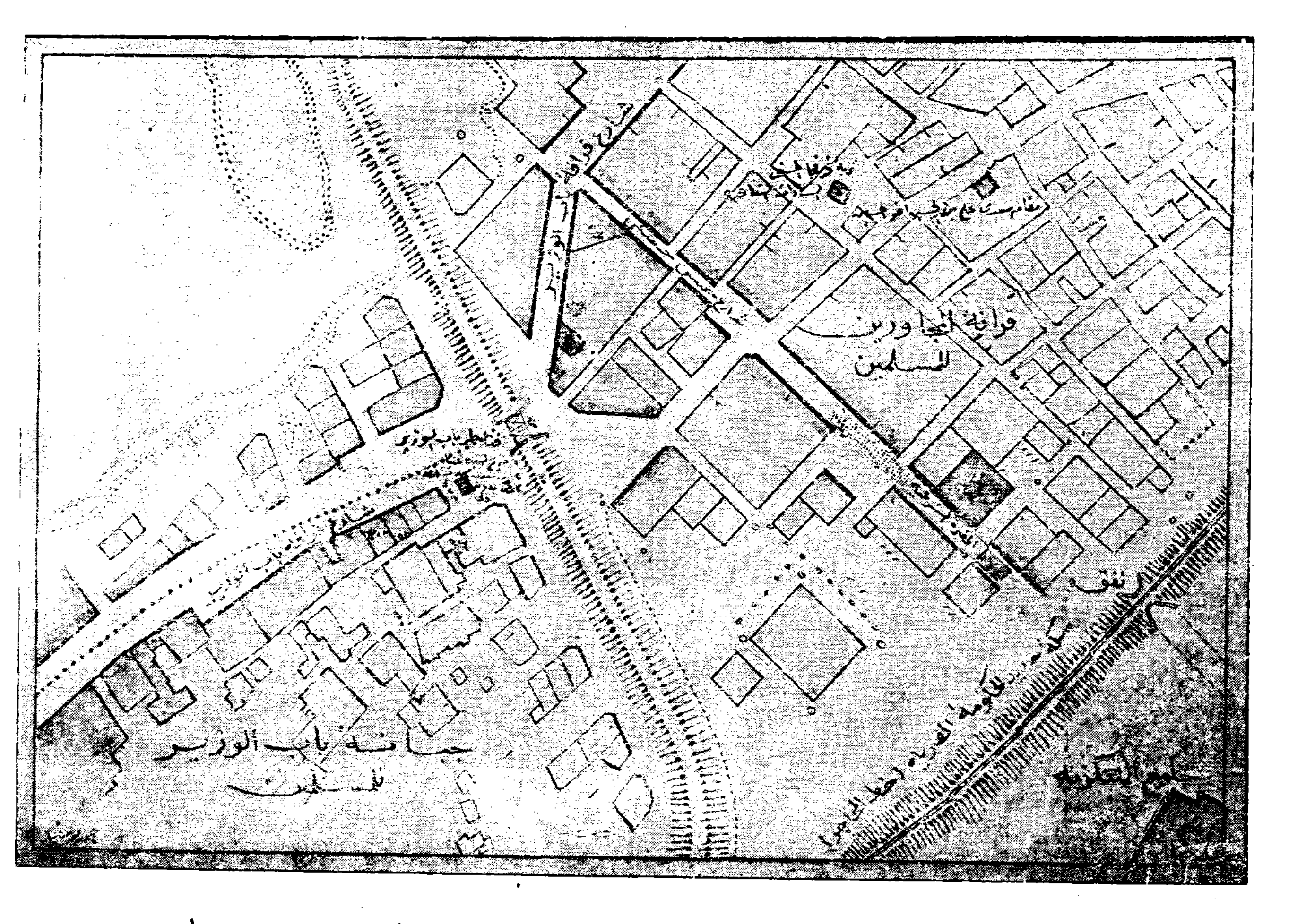
الطريق الثانى

يبدأ سالكه من باب زويلة[١] الأثرى (الشهير بباب المتولى[٢]) ماراً بشارع الدرب الأحمر ، وعن يمينه نقطة بوليس الدرب الأحمر ، وأمامه مسجد أبى حُرَيْبة ثم ينعطف ذات اليمين فيلتقى بشارع التبانة . وبه مسجد الماردانى . وعلى مسافة خمسين ومائة متر يجد زاوية عارف باشا . وهى فى مُلْتَقَى شارعَىْ سُوق السِّلاح وباب الوزير . ثم يسلك شارع باب الوزير متجها إلى الجنوب حتى يصل إلى حارة باب التُرْبة وبها سبيل ومسجد طراباى ، كما تقدم فى وَصْف الطريق الأول .

---

(١) أنشأه بدر الجمالى وزير المنتصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٤ هـ . وأنشأ قبله بابى النصر والفتوح سنة ٤٨٠ هـ . ومات الوزير بدر والخليفة المنتصر بالله عام ٤٨٧ هـ .

(٢) للعامة خرافات كثيرة بباب المتولى إذ يعتقدون أن ولياً اسمه المتولى يسكنه وهو غير صحيح .



مصور جغرافى (شكل ١) يبين موقع المقبرة الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية (٥) من قرافة المجاورين

وصف المقبرة الشرعية

قبل أن أصف لك المقبرة الشرعية ، أبين لك الغرضَ الذى من أجله أنشأها المرحوم الشيخ الإمام « تغمده الله برحماته » :

إن مقابر المسلمين ليست كُلُّها على النظام الدينى المشروع ، فإن منها أضرحةً مرتفعة مكسوة تعلوها الْقِبابُ أعدوها للأولياء والصالحين ، وهم منها بَرَاء (ومنها) مدافن الأثرياء والوُجَهاء والعظماء يبذُلون فى تشييدها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة (ومنها) مقابر الطبقات الأخرى وهى قليلة النفقات ، غير أن ارتفاعَها عن سَطح الأرض أكثرُ من ذراع فى حين أن القبر الشرعى لا يزيد ارتفاعه عن ذراع كما بينته كتب السنة المطهرة ، وقد بين السلف الصالح والقادة من العلماء والأئمة كيف تكون القبور الشرعية . ولقد رأى المرحوم الشيخ الإمام قبور زمانه مخالفة قبورَ السلف ، فملأ الحزن قلبه ، ورأى لِزاماً عليه أن يبين للناس عمليا صورة القبور الشرعية التى تضم أجساد المسلمين بعد مفارقتهم قصور الدنيا وما فيها من زخارف حتى يمكنَهم أن يجعلوها لهم مِثالا يَحْتَذُونه ، فأمر رحمة الله عليه فى سنة ١٣٣٩ هـ باستصدار إذن من محافظة مصر باتخاذ قطعة أرض مربعة الشكل طول ضلعها أربعة وعشرون متراً فى مِنْطقة قرافة المجاورين ، لإقامة مقابرَ شرعيةٍ عليها ، وما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ إلا وقد بنى بها ثمانية وثلاثون قبراً شرعيا تكوَّن منها ثلاثةُ صُفُوفٍ وكانت هذه المقبرة هى الأولى ، ولما امتلأتْ ، سعى خليفة الإمام (أمد الله فى أجله) إلى تشييد المقبرتين الثانية والثالثة ، وهما فى الشارع الأخير يسلكه المارُّ عن يمينه إلى الْجَنوب (الجهة القبليّة) وبجوارها مقبرة آل طُعَيمة ، ومقبرة النُّوبِيِّين .

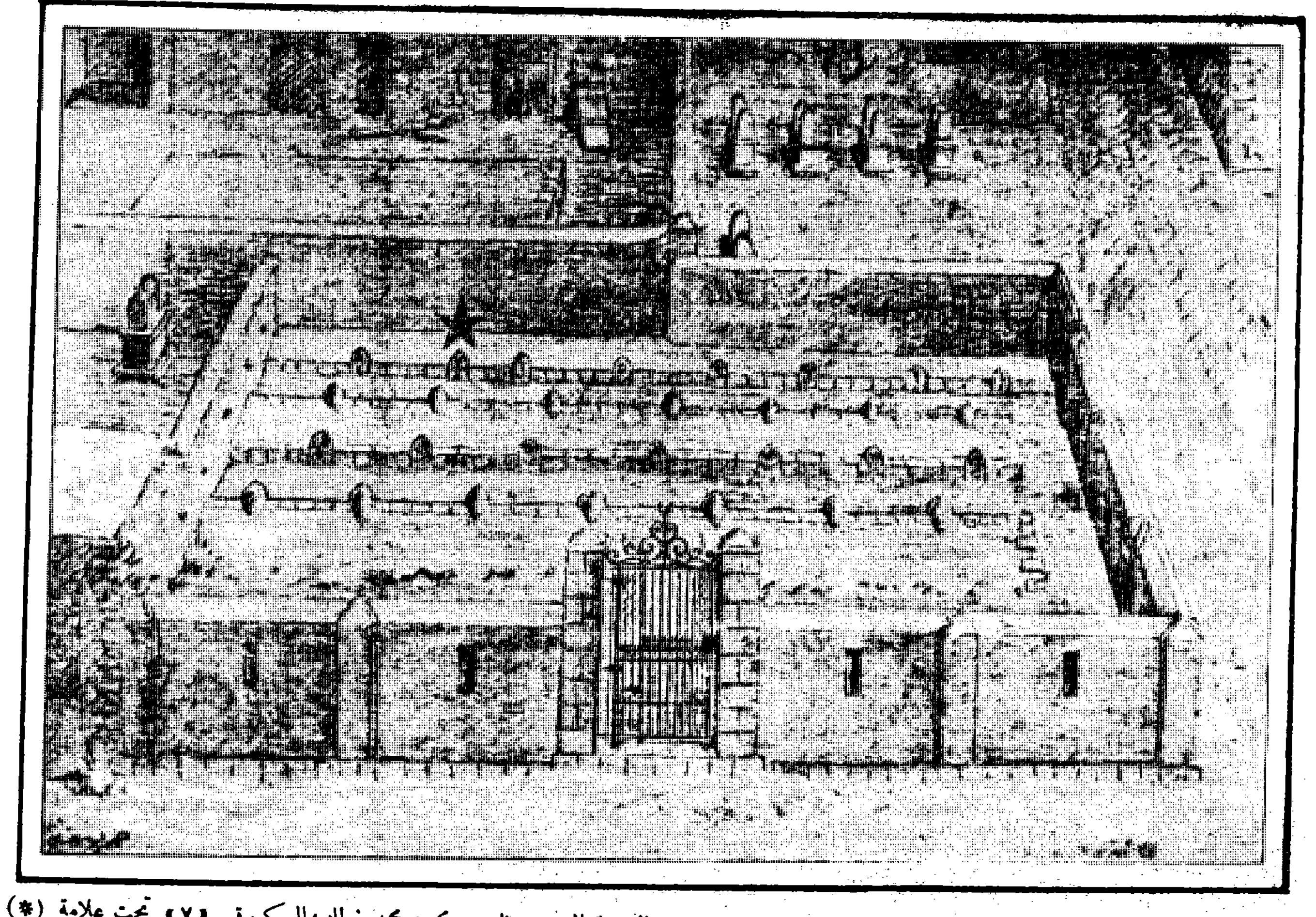
الوصف

للمقبرة الشرعية باب حديدى مرتفع فى الجنوب والمقبرة مكونة من ثلاثة صفوف : الصف الأول تجاه الباب به ستة عشر قبراً : ثمانية قبور متّجهة إلى الشمال وثمانية تتّجه إلى الجنوب ، والصف الثانى به أربعة عشر سبعة اتجاهها شمالى ، وسبعة اتجاهها جنوبى . والصف الثالث به ثمانية فقط تمتد إلى الجنوب مرقومة من الرقم (١) إلى الرقم (٨) .

أين قبر الإمام ؟

يمرّ الزائر على القبور بالصف الثالث من (١) إلى (٦) فإذا ما جاوز السادس وجد قبر المرحوم الشيخ الإمام مرقومًا بالرقم (٧) وهو المشار إليه بعلامة (*) بالشكل رقم (٢) المنظور الطبعى من عمل تلميذ محب مخلص من تلامذته ، وهو الرسام الماهر السيد الأستاذ أحمد يوسف الموظف بمصلحة الآثار، وقد رُقّى إلى وكيل مصلحة الآثار ، وأسندت إليه أعمال فَنّية هامّة فى منطقة أهرام الجيزة « أجزل الله تعالى له الثواب » .

والقبر الثامن : لزوج الإمام وهى أوّل من دُفن بهذه المقبرة (رحمة الله عليها) وقد لحقت بها الزوجة الثانية الصالحة للمرحوم الإمام ، وعاشت بعده تسع سنوات ثم لحقت بهما السيدة التقيّة زوج خليفة الإمام ، وشريكته فى الحياة بعد معاشرة طال مداها . وكان ذلك فى صفر سنة ١٣٧٥م هـ — سبتمبر ١٩٥٥ (طيّب الله ثَراهُن ونورلهن رَوْضتَهُنّ) . وإن ضريح الإمام الراحل تعلوه الهيبة ، والسكينة، والرحمة ، ونور الجهاد لا نور القِباب . وإن كان فى رأى العين غير مرفوع فهو عند الله مرفوع. وإن الناظر إليه تستولى على مشاعره الخشية ، يحوطها الاتعاظ ، ويبدو له ضريح متواضع لايزيد عن مترين فى متر قد ضمّ جُثْمان إمام ذائع الصِّيت؛ لو وضع فيه جهاده مُجَسَّما وإرشاده كذلك ما وَسِعَه !!



منظور طبعي (شكل ٢) يبين ضريح حضرة الإمام محي السنة صاحب الفضيلة المرحوم السيد محمود محمد خطاب السبكي رقم «٧» تحت علامة (*)

شيوخ الأزهر الذين عاصرهم الشيخ الإمام طالباً ومدرساً

أدرك من شيوخ الأزهر عشرة (١) المرحوم الشيخ محمد المَهْدِىّ الْعَبّاسىّ الحنفى ، الذى استقال من مشيخة الأزهر سنه ١٣٠٤ ﻫ . (٢) ثم المرحوم الشيخ شمس الدين محمد الإنبابى الشافعى ، الذى استقال لمرضه يوم ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٣١٢ ﻫ . (٣) والمرحوم الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى[1] الحنفى . أسندت إليه الرياسة فى المحرم سنة ١٣١٣ ﻫ — وفى رجب من هذه السنة ، نال المؤلف شهادة العالمية بعد أن أدى الامتحان أمام أعضاء اللجنة السالفة أسماؤهم — وبقى الشيخ النَّواوِىّ رئيساً للأزهر إلى أن فصل فى ٢٥ من المحرم سنة ١٣١٧ﻫ . (٤) والمرحوم الشيخ عبد الرحمن الْقُطْب النَّواوِى الحنفى . وتوفى لجأة بعد شهر واحد . (٥) ثم تولى شيخ الإسلام المرحوم الشيخ سليم الْبِشْرِىّ[2] المالكى يوم الخميس ٢٨ من صفر من هذه السنة . واستقال فى ذى الحجة سنة ١٣٢٠ ﻫ . (٦) تخلفه المرحوم السيد على بن محمد الْبِبْلَاوِىّ[3] المالكى ، واستقال فى المحرم سنة ١٣٢٣ ﻫ . (٧) تخلفه المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشِّرْبِينِىّ الشافعى، واستقال فى ذى الحجة سنة ١٣٢٤ ﻫ . ثم عاد للرياسة المرحوم الشيخ حسونة النواوى واستقال سنة ١٣٢٧ (وتوفى يوم ٢٤ من شوال سنة ١٣٤٣ ﻫ) . ثم عاد للرياسة المرحوم الشيخ سليم البشرى ولبث إلى أن توفى ظهر يوم الجمعة ٤ من ذى الحجة سنة ١٣٣٥ ﻫ . (٨) فأسندت الرياسة إلى الشيخ محمد أبى الفضل الوراق الجيزاوى المالكى يوم ١٤ من ذى الحجة من هذه السنة . وتوفى (رحمة الله عليه) فى المحرم سنة ١٣٤٦ ﻫ . (٩) وفى غرة ذى الحجة من هذه

(١) نسبة إلى نوامى مركز ديروط محافظة أسيوط .

(٢) نسبة إلى محلة بشر مركز شبراخيت محافظة البحيرة .

(٣) نسبة إلى ببلاو مركز ديروط .

السنة أسندت إلى الشيخ محمد مصطفى المراغى[1] الحنفى . وقد استقال يوم الثلاثاء ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . (١٠) فأسندت للشيخ محمد الأحمدى الظواهرى بعد ذلك بيومين واستقال يوم الجمعة ٢٣ من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ . (٢٦ من أبريل سنة ١٩٣٥ م) وتوفى بمنزله فى الزيتون مساء السبت ٢٠ من جُمادى الأولى ١٣٦٣ هـ . (١٣ مايو ١٩٤٤ م) ودفن فى مقبرته بقرافة المجاورين على مقربة من قبر المرحوم شمس الدين الإنبابىّ . وفى عهده أحيل الشيخ الإمام إلى المعاش ، ولحِق بجوار ربه العلى الأعلى .

الشيوخ الذين تلقى عنهم المؤلف

هم كثيرون . من بينهم حضرات أصحاب الفضيلة شمس الدين الأُنبابى الشافعى والشيخ سليم البشرى المالكى ، والشيخ أحمد الرفاعى المالكى . والشيخ إبراهيم الظواهرى الشافعى — مَنْ عين آخر حياته شيخاً للجامع الأحمدى قبل النظام الحديث سنة ١٣١٢ هـ . وتوفى سنة ١٣١٤ هـ — ١٩٠٦ م .

أنجال الشيخ الإمام :

أعقب رحمه الله خمسة أشبال حاطهم برعايته ، وأدبهم فأحسن تأديبهم ، وغذاهم بروحه الوثابة المجدّة الجريئة غير الهيّابة . فكانوا فى مقدمة النابغين الذين يشار إليهم بالبنان تلامذة ومدرسين (أوّلهم) المرحوم الشيخ محمد . التحق بمدرسة دار العلوم بعد إتمام دارسته بالأزهر . وتخرج فيها سنة ١٣٢٦ هـ الموافقة (١٩٠٨م) وعين مدرساً بمدارس الحكومة ثم بالمدرسة الثانوية بطنطا التابعة حينئذ لمجلس المديرية . ثم بالمدرسة الثانوية بشبين الكوم التابعة وقتئذ لجمعية المساعى المشكورة ثم اشتغل محامياً شرعياً . فكان مثال الجد والنشاط والصدق والنّزاهة والدّفاع عن الحق حتى يظهر ويزهق الباطل . ثم توفى (رحمة الله عليه) فى حياة والده فى

(١) نسبة إلى المراغة مركز من محافظة سوهاج .

السادس عشر من شعبان سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ٤ يونيو سنة (١٩١٧ م) . وقد كان معروفاً بين أقرانه بسيبويه زمانه (وثانيهم) الأستاذ الشيخ أمين . ولد بسبك الأحد سنة ١٣٠٤ هـ . وفى شوال سنة ١٣١٤هـ التحق بالأزهر . وبعد إتمام الدراسة به تخرج فيه يوم السبت التاسع عشر من شهر رجب سنة ١٣٢٩ هـ — ١٥ من يوليه سنة ١٩١١م . وفى شوال سنة ١٣٣١ هـ — سبتمبر سنة ١٩١٣ م أدّى امتحاناً فى العلوم الرياضية ، فجازه بتفوق فعين مدرساً للجُغْرافِيَّة والتاريخ بالقسم النظامى بالأزهر . ثم أسند إليه دراسة العلوم الشرعية والعربية بالأزهر والمعاهد . وهو قائم بما يسند إليه خير قيام ، مثال الجد والنشاط والذكاء . ولما اكتمل السبعين عاماً أحيل إلى التقاعُد يوم الثلاثاء ٢٢ من رجب سنة ١٣٧٢ هـ ٧ من أبريل سنة ١٩٥٣ م (أمدّ الله تعالى فى أجله المبارك) .

(وثالث) الأنجال الشيخ شرف الدين . التحق بالأزهر فى شوال سنة ١٣١٤ هـ وهو ابن تسع سنين فتغذى فيه بلبان العلوم الأزهرية ثم التحق بمدرسة دار العلوم فى الثامنة عشرة من عمره وتخرج فيها سنة ١٣٢٨هـ سنة ١٩١٠م وكان أول فرقته فى كل السنين فاختير للبعثة الأوربية فسافر بعد إذن والده رغابا فى الثقافة العربية وعاد محافظاً على دينه وأخلاقه فزاول التدريس بمدارس الحكومة ثم اختير مدرساً بكلية دار العلوم . ثم عين مفتشاً بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف سنة ١٣٥٤ هـ . وفى أبريل سنة ١٩٤٧ أحيل إلى المعاش لبلوغه الستين . ثم لحق بربه مساء الخميس ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ ٩ من أغسطس سنة ١٩٥١ م . وصلى عليه أخوه خليفة الإمام ووراءه الجم الغفير قبل صلاة الجمعة ٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ . وأودع مقره الأخير فى القبر رقم ٩ من مقبرة المرحوم والده الإمام .

(ورابع) الأنجال الأستاذ الشيخ عبد الحليم . التحق بالأزهر فى شوال سنة ١٣١٤هـ وهو ابن تسع سنين . ولما أخذ قسطاً وافراً من العلوم الأزهرية التحق بمدرسة

دار العلوم فى التاسعة عشرة من عمره. وتخرج فيها سنة ١٣٢٩هـ الموافق سنة ١٩١١م فعين مدرساً بمدارس الحكومة. ومنها المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا ثم نقل مدرساً بدار العلوم سنة ١٣٥٤هـ. ثم مدرساً فى كلية البنات بالزمالك. ثم لحق بربه مساء الثلاثاء وصلى على جثمانه الجم الغفير آخر ظهر الأربعاء ٩ من رمضان سنة ١٣٧٣ هـ - ١٢ من مايو سنة ١٩٥٤م وأودع مقره الأخير بجوار أخيه المرحوم الشيخ شرف الدين. (وخامس الأنجال) الأستاذ عبد الحكيم. التحق بالأزهر فى السنة الثانية عشرة من عمره ومكث به حتى نال الشهادة الأولية والتحق بالقسم الثانوى به ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها سنة ١٣٤٤هـ. فعين مدرساً بمدارس الحكومة. ثم اختير للتدريس بمعهد التربية بالجيزة وأخذ يرقى حتى كان ناظر مدرسة الفسطاط الثانوية بمصر القديمة. وأحيل إلى التقاعد فى مارس سنة ١٩٦٢م.

تلامذة المرحوم الشيخ الإمام:

طوال تلك المدة التى قضاها الشيخ الإمام مدرساً بالأزهر المعمور تخرج على يديه فيها الجم الغفير من تلامذته الأفذاذ النجباء ومن مشاهيرهم حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الأجلاء: الشيخ عبد المجيد سليم. وقد أسندت إليه رياسة الأزهر لأول مرة يوم السبت ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٣٦٩ هـ. ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٠م. ثم أعفى منها ثم عاد لرياسة الأزهر يوم السبت ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ — ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢م. واستقال فى يوليه سنة ١٩٥٢. ولزم داره حتى وافته منيته يوم الخميس ٩ من صفر سنة ١٣٧٤ هـ — ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م. أجزل الله له المثوبة ومنهم المرحوم الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة الشرعية العليا سابقا. والمرحوم الشيخ عبد السلام البحيرى كان عضوا بالمحكمة الشرعية العليا. وتوفى عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ (رحمة الله عليه) والمرحوم

الشيخ على محفوظ كان مدرسا بكلية أصول الدين[1] والشيخ سليمان نوار (عميد كلية اللغة العربية سابقا) والشيخ محمود الغمراوى (المفتش بالجامعة الأزهرية) وغير هؤلاء كثير ممن يدرس بالأزهر والمعاهد الدينية ومدارس الحكومة، وممن يلى مناصب القضاء الشرعى. ومن تلامذته غير الموظفين كثير من العلماء الأجلاء القائمين بالوعظ والإرشاد على سَنَن أستاذهم الراحل.

خليفة الإمام :

كثيراً ما تحدّثك نفسك ـ إذا ما وقفت على سيرة الإمام ـ بمن كان يخلُف هذه الشخصيةَ البارزة التى لم يُمْهلها الزمان . وإن السرور ليملأ جوانحك والبشر ليُنير وجهك إذا ما علمت أن خليفة الإمام هو شِبْل الإمام ثانى الأنجال فضيلة الأستاذ الشيخ أمين . وهو بحق خير من يخلف أباه (ومن يشابه أبه فما ظلم) و(إنّ هذا الشبل من ذاك الأسد) ولقد أجمع تلامذة الإمام كلمتهم من ثانى يوم الوفاة على اختياره للقيام بأعباء هذه المنزلة السامية . فكان قائداً لعشرات الألوف من المتمسكين بدينهم، سائراً على النهج المحمدى الذى كان يسير عليه والده، متمما بعض المؤلفات التى بدأها، محافظاً جد المحافظة على من كان يرعاهم والده، وهو فى ذلك كله الحليم الحازم ذو الهمة التى لا تعرف سآمة ولا مَلَلا، ويُشْرف على الأمور دقيقها وجليلها بأمانة ونزاهة . يتنقل فى العاصمة وضواحيها والبلاد النائية لإرشاد الناس إلى التمسك بمبادئ دينهم الحنيف حتى يعود إليهم مجد أسلافهم، وعزة آبائهم الأقدمين .

وختاماً أسأل الله الرحيم أن يتغمد المرحوم الشيخ الإمام برحماته، ويصُبُّ على رَمْسه شآبيبَ رضوانه، ويسكنه فسيح جنّاته . وأن يبارك فى خليفته ويمد فى أجله ممتعاً بوافر العافية، ودائم التوفيق . والحمد لله أولا وآخراً والصلاة والسلام على خاتم النبيين . وآله وصحبه والتابعين .

(١) وتوفى رحمه الله مساء الأربعاء ٢ من ذى القعدة ١٣٦١ هـ — ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٢ م .

مقدمة الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله رب العالمين الذى ألهم الذاكرين ذكره والشاكرين شكره والحامدين حمده وأثابهم من فضله واستخدمهم فى طاعته وتقبل أعمالهم بنعمته . يرفع من يشاء إلى رفيع الدرجات باتباع سيد الكائنات . والصلاة والسلام على الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم صلى الله عليه وعلى آله أجمعين .

أما بعـــد :

فقد دعت الضرورة إلى إعادة طبع كتاب الدين الخالص الجـــزء الأول وذلك لتصحيح ما وقع فى الطبعة الرابعة من أخطاء لا تخفى .

وقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بالاطلاع على الطبعة الرابعة قبل أن تصل إلى أيدى الناس فصوبت الأخطاء الظاهرة فى ملزمة ألحقت بالطبعة المشار إليها وذلك مداركة لما ليس منه بد مع إبداء الأسف لما حدث .

وقد مكن الله سبحانه وتعالى أسرة الإمام من السيطرة على المقاليد وانتهى إليهم بحمد الله الإشراف على هذه المطبوعات فكان لزاماً عليهم أن يعيدوا الطبع على نحو ما كان يجب أن يتم . فجرى تصوير الطبعة الثالثة التى طبعت فى مطبعة السعادة فى سنة ١٣٨٤ هـ ضماناً للدقة والتزاماً بما تم تصحيحه على يدى فضيلة الإمام الأمين رحمه الله تعالى حيث الدقة وأمانة البحث فالحمـــــد لله رب العالمين الذى بنعمته تتم الصالحات .

أما المقدمة الأولى التى كتبها فضيلة الأستاذ الشيخ أبو القاسم ابراهيم أبو القاسم رحمه الله تعالى وجزاه خيرا والتى حررت فى حياة الأستاذ الإمام أمين محمود خطاب صارت الآن فى حاجة إلى تعديل . فقد تغيرت الأمور فرأى بعض النابهين استبقاء المقدمه التى صدرت أول الأمر كما هى دون تعديل لأنها تحاكى الحـــال فى حياة محرر المقدمة ونصحوا بتحرير مقدمة لهذه الطبعة الخامسة ، تصوب فيها بعض المعلومات التى طرأت على الترجمة المحررة عن الإمام المؤلف رحمه الله تعـالى . وطلبوا منى تحرير مقدمة إضافية . جزاهم الله خيراً ولهذا أشير إلى :

إن أول معالم التغيير هو وفاة الإمام الشيخ أمين محمود خطاب نجـل المؤلف وخليفته فى إمامة جماهير أهل السنة . ذلك الإمام الذى شب مع الدعوة وساير مراحلها

وقد ذكرت بعض ترجمته فى آخر الجزء الثامن من هذا الكتاب فذكرت أنه ولد بسبك الأحد مركز أشمون منوفية فى ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م والتحق بالأزهر فحضر على شيوخه وحصل على العالمية فى رجب سنة ١٣٢٩ هـ / يونية سنة ١٩١٦ م فعين مدرساً بالمعاهد الدينيـة الأزهرية بالوجهين القبلى والبحرى والقاهرة ثم عين أستاذاً بكلية الشريعة ثم بكلية أصول الدين وتتلمذ على يديه الدعاة والوعاظ والعلماء ،

وقد شارك فى الدعوة إلى الكتاب والسنة فكان وكيلا للجمعية الشرعية ثم تولى الإمامة عقب وفاة والده وعنى بالبحث العلمى والتأليف فحقق وعلق وشرح أجزاء الدين الخـالص ثم أضاف مؤلفه الذى نشره من قبل تحت عنوان إرشـاد الناسك إلى أعمال المناسك فى حجم الربع ليكون بيـد الحاج يحمله معـه فى سفره ولـكنه أعاد طبعه بحجم كتـاب الدين الخالص وجعـله جزءاً تاسعاً وسماه الدين الخالص أو إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك بالإضافة إلى تخريج الأحاديث الواردة فى مؤلفات والده .

كما شرع فى تكملة كتاب المنهل العذب المورود فى أربعة أجزاء كبار .

وقد خطت الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية فى عهده خطوات واسعة . ونمت فروعها وازدهرت مؤسسـاتها وصارت أكبر الجمعيات العاملة فى الحقل الإسلامى فى مصر بل وفى الشرق العربى كله ، وذلك بفضل دأبه وسهره وانتقالاته إلى أنحاء البلاد معلماً وواعظاً وداعياً . كما كان يرعى مشروعات الفروع ومنشآتها وجاهد فى سبيل الدعوة ونشر السنة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى ترك لنا تراثا دينيا عظيما .

فلما أثقلت كاهله السنون والشيخوخة والمرض لم ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم وهو على الفراش حتى توقف القلب الكبير وارتحلت الروح الطـاهرة إلى الرفيق الأعلى عصر يوم الإثنين ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧٨ الموافق ٢٦ من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ . توفى يوم الإثنين وغسل وكفن وصلى عليه يوم الثلاثاء كما حدث لرسـول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله وطيب ثراه ودفن مع اخوته بالمقبرة رقم ٩ لأن مقبرة الوالد كانت لحداً وقد منع أن يدفن معه أحد .

وقد طار خبر وفاته إلى سائر محافظات الجمهورية فتوافد الجميع لتشييعه إلى مقره الأخير بعد أن صلى عليه ابنـه وخليفته الإمام الشيخ يوسف أمين خطاب ثم أسرع الناس إلى مبايعـة إماماً لأهل السـنة فى مكان والده وجده والتفوا

حوله وجاء رؤساء الفروع من كل مكان ليظهروا له الطاعة والرضا بإمامته لأهل السنة .
وقد ذكرت ترجمة مختصرة له فى نهاية إتحاف الكائنات الطبعة الثانية وأنه ولد فى ٢٤ محرم سنة ١٣٢٣ هـ / ٧ إبريل سنة ١٩٠٥ والتحق بالأزهر الشريف فى سنة ١٣٣٨ / ١٩١٩ ثم تخرج فى مدرسة دار العلوم ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ واشتغل بالتربيه والتعليم . ولما توفى والده تسلم الأمانه فكان إماماً لأهل السنة ورئيساً للجمعية الشرعية يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنه ١٣٧٨ ثم دعا إلى حفل دينى فى سبك الأحد فى دوار آل خطاب وهناك فى الحادى عشر من ذى الحجه سنه ١٣٧٨ تمت بيعة ثانية له .

وواصل الإمام يوسف المسيرة ورأس معهد الإمامه للدراسات الإسلامية وألقى فيه محاضرات فى اللغة العربية والحديث النبوى وهذا المعهد أعد لتخريج الدعاة إلى الله من وعاظ الجمعية ، ومقره مسجد الإمام محمود خطاب السبكى ١٩ شارع الجلاء بالقاهرة وقاد الجمعيه الشرعيه ونشر كتاب الفتاوى الأمينية ١٣٩٢ هـ | ١٩٧٢
وقد تولى رياسة جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية وكان يكتب بابا ثابتا فى المجلة التى تصدرها الجمعية ، ثم كانت وفاته يوم الإثنين ٣٠ من صفر سنه ١٣٩٦ الموافق أول مارس سنه ١٩٧٦ .

وكان قد بنى مقبرة جديدة شرعيه إلى جوار مقبـرة جَدِّه فى المجاورين تضم ٤٢ قبراً وخصص لنفسه وعلى نفقته لحداً على مثال ما فصل جَدِّه الإمام مؤسس الجمعية ورقمه بنفس رقمه رحمهما الله وأجزل مثوبتهما .

وبقى استدراك على ما كتب الشيخ أبو القاسم ابراهيم فى ترجمة الإمام مؤلف الدين الخالص فى ص ٣١ أن الأستاذ عبد الحكيم محمود خطاب النجل الأصغر أحيل للتقاعد فى سنة ١٩٦٢ ونضيف إلى ما ذكر أنه عكف على تلاوة القرآن وبذل المال فى سبيل الله وصلة الرحم حتى انتقل إلى جوار الله عز وجل فى السابع من ربيع الأول سنة ١٣٩١ الموافق ٣ مايو سنة ١٩٧١ م رحمه الله رحمة واسعة ودفن إلى جوار اخوته فى المقبرة التى تضم أولاد الإمام رحمه الله وجمعهم الله فى أعلى عليين ونسأله تعالى أن يوفق ذرية الإمام بفضله ويعينهم على مرضاته ويرزقهم تمام القبول والحمد لله أولا وآخراً والصلاة والسلام على خاتم المرسلين والنبيين وآله وصحبه أجمعين.

شهر ذى القعدة سنة ١٤١١

الموافق مايو سنة ١٩٩١

د . عبد العظيم حامد خطاب

وكيل الجمعية الشرعية الرئيسية

دليل ترجمة الشيخ الإمام